

0368.02.1565

"What the Future Holds for the Arab-Israeli Conflict?", an Article by Samih Hammoudeh

This document shows a draft article written by Samih Hammoudeh under the title "What the Future Holds for the Arab-Israeli Conflict?", which addresses the future of the Arab-Israeli conflict along with intellectual changes.

أَيَّ مَسْتَقْبَلٍ لِلصَّرَاحِ الْعَرَبِيِّ - الْإِسْرَائِيلِيَّةِ ①

ثمة جملة من المتغيرات الثقافية والفكرية والاقتصادية في الساحة العالمية تشير إلى صفى جديد للصراع العربى - الاسرائيلى وللمكاشات حلة بصورة جذرية ونهائية .

أول هذه المتغيرات هو تغير العلاقة التاريخية بين العالم الاسلامى وبين دول الغرب من حالة الصراع المحتوم والتنافس على السيطرة والهيمنة والتمد بالاسلحار العسكرية المباشرة إلى حالة جديدة يمتزج فيها الصراع والغبنة فى السيطرة مع التعاون والتسيف والغبنة فى التفاهم والتلاحى . وهذا الامتزاج بين عنصرين متناقضين ناهجهم فى الدرجة الاولى عن زيادة صاحة اللقار الثقافى والحوار والتعاون الاقتصادى بين شعوب العالم الاسلامى وشعوب الغرب . وقد جاء هذا اللقار ضمن نفس الزمن التاريخى الذى شهد التوسع الغربى فى العالم فى مرحلة الاسلحار المباشر بدايةً وفى مرحلة الاسلحار غير المباشر والنزى يتجلى حالياً بما اصطلح عليه بالعولمة نهائية .

(٥)

وعنى نذكر أبعاد وتجليات هذا التغير يجب
أن نعود إلى مناقشة مسلّمة نظرية سود في
الأوساط الفكرية العربية والإسلامية حكمت نظريتنا للعالم
وأعدته لفترة طويلة ، وهي المسلّمة النظرية التي
في الغرب كياناً جغرافياً وثقافياً واحداً ومجاناً
قائماً بصورة تكوينية وأساسية على ^{عليه} الإسلام
والكيد للمسلمين ومحبّتهم . ولقد كان من صلتومات
هذه المسلّمة أن صيحات الحرب والنزال والقتال
والصراع مع الغرب قد طُغت على أية صيحة أخرى
قد ترمي الأمور بمنظار مختلف .

والداعي للعودة إلى مناقشة هذه المسلّمة ثلاثة
ظواهر : الظاهرة الأولى هي أن العقل الغربي قد بدأ
يتوَعَب ظاهرة الإسلام العالمي ، بمعنى الإسلام المتمدن في
كل أنحاء العالم ، بماضيه الغرب نفسه ، والذي يعي
أبناءؤه والمنسبون إليه في مجتمعات متقدمة ، يكتيفون
في حياتهم معها ويكفهمون في الوقت نفسه يحافظون على هويتهم
الإسلامية الخاصة . فهم مثل سائر البشر يعون

(٤)

إلى ترقية أحوالهم المادية والثقافية، وينظرون
إلى غيرهم من الناس على أنهم بشر مثلهم يتعايشون
معهم ويرتبطون بهم بشبتي أنواع الأواصر الإنسانية.
إنّ تغيّر النظرة للمسلمين وبالإسلام في الغرب، وإن لم تكن
بالمستوى الذي يريده المسلمون، ذات أهمية كبيرة.
منه تشر إلى اتجاه صاعد، إذ أنّ مستوى هذا
الفهم، ورغم كل محاولات المعادين للإسلام من مؤسسات
استعمارية عرقية وصناعات دينية متطرفة منغلقة
التفكير ومؤسسات صهيونية ذات مآرب سياسية،
يتزايد عبر الأيام، وعبر ازدياد صاحة اللقاء والحوار
بين المسلمين وغيرهم، وهذا مسبقاً في النهاية إلى تخلص الغرب من
سياسة معاداة الإسلام، كما سيؤدي إلى تغيير طبيعته توزيع القوة داخل الغرب نفسه،
وليفي أن تشير إلى أن قوة المسلمين السياسية
في دول أوروبية وفي الولايات المتحدة تتصاعد سنة بعد
سنة، وجميع المؤشرات تشير إلى عظيم فرص نجاح
المسلمين في فرض أنفسهم كقوة سياسية وثقافية
معتبرة في الغرب. الغربي
الفاخرة الثانية هي أنّ النأييد/الأعمى لإسرائيل وسياساتها

٤

في فلسطين وفي منطقة الشرق الأوسط في نزول
ستم. إن زيادة الوعي العالمي بقضايا حقوق الإنسان
وبضرورة النضال ضد الدول التي لم تأسس التمييز العنصري
والديني وتضطهد مجموعات بشرية معينة فقط لمجرد كون
أعضائها ولدا خارج المجموعة البشرية أو العرق الذي تدعي هذه
الدول الانتساب إليه ، قد وضع إسرائيل في خانة
خارج الإجماع الغربي . فالواضح تماماً الآن أن الذين
يؤيدون إسرائيل لأسباب استعمارية أو دينية أو ثقافية ،
لم يعودوا قادرين على السكوت أمام جرائمها المبررة
ضد الفلسطينيين وضد العرب ، وأن هؤلاء دائماً محاصرون ،
وهضطرون إما للتبرير وإما لانخفاض الحقائق وضع
انتهاكات لا تزداد أمورهم تعقيداً أمام الجماهير
العربية التي لم تعد تقبل ثقافة التبرير للاستعمار ،
والتبرير لاضطهاد الإنسان ، وسياسة التمييز العنصري .
ويجب أن لا ننسى أن التأييد الذي حظيت به إسرائيل
دما زالت تحظى به حالياً يرجع بدرجة كبيرة إلى
ثقافة الجمهور الغربي مع صنایا المضطهد النقي .

٥

- فالتأييد لإسرائيل ناجمٌ في الحقيقة عنه وعي زائفٍ ومغالٍ للعقل الغربي. بحقيقة وأبعاد الاضطهاد الذي يُعرِّض له اليهود، ومنه غفلةٌ كالماء عن حقيقة أن إسرائيل تستخدم هذا العاطف لتطبيق وممارسة سياسةٍ شبيهةً نازيةً ضد شعب آخر هو الشعب الفلسطيني. ولكن العقل الغربي شديدٌ حالياً لتعالٍ أصوات مؤرخين وفكرين وعلماء كثيرين، ومن ضمنهم شخصيات يهودية علمية، ترفض تبريرات إسرائيل لسياسة العنف ضد الفلسطينيين، كما ترفض استقلال إسرائيل للطريقة التي تُعرِّض لها يهود أوروبية لصالح أهدافها الاستعمارية، وللممارسة الانتزاعية ضد الدول التي توجَّهت ضدها الجرائم ضد اليهود من أجل الحصول على المال والمزيد من المال تحت غطاء التعويض. وهذا الاتجاه في الفكر الغربي وفي الأوساط الأكاديمية وإن كان لا ينفي حدوث طائفة ضد اليهود، إلا أنه يؤكد عدوها ضد شعوب وأجناس أخرى، وإلى أن هذه الطائفة لا تبرر تبرير شعب آخر، هو الشعب الفلسطيني، حتى حقوقه التاريخية في أرضه، لتعويض الشعب اليهودي.

(٦)

- الظاهرة الثالثة هي أن مفهوم القدرية اللغوية والعرفية والنشائية في الدول - القومية يكتب قبولاً متزايداً ، فالواضح أن مفهوم الدولة - القومية التي تضمنت في مدورها الجغرافية شعباً واحداً ، له لغة واحدة وثقافة واحدة ، أخذت بالانحسار . ولعل تجربة الاتحاد الأمريكي ، ونجاح المجتمع الأمريكي في تأسيس مفهوم القدرية قد ضحك الباب في المحبقات الأمريكية أمام قبول هذه الفكرة . ورغم أن القدرية ومثالة قبول الآخر المختلف في الولايات المتحدة وفي غيرها من الدول لم تأتي دون ثمني باهض (رفعت مجموعات عمرية معينة ، مثل الأفارقة الأمريكيون ، ولم يبلغ درجة المساواة الكاملة التي تصبح فيها مظاهر التمييز وسياساته فائقة عما ساهمته الحياة في المجتمع ، إلا أن هذا المفهوم يحظى بقبول الغالبية العظمى من سكان العالم الغربي . وهذا تغير في الوعي له دلالاته وستكون له نتائجها الحاسمة على قضايا عالمية / دولية كثيرة من بينها علاقة إسرائيل بالفلسطينيين والعرب .

٧

فإسرائيل التي تعتبر نفسها جزءاً من المنظومة الفكرية
والثقافية والحضارية الغربية لن تجد في النهاية منافساً من
الاذعان لمفهوم التعددية هذا، ولنزوة التخلّص من فلسفتها
العنصرية ومخيم اليهود ضلّا من سائر الملاحقين العرب .
إن جملة الملاحظات التي طرحتها سابقاً حول التغيرات الفكرية
في العالم تصلح قاعدة لطرح السؤال حول الاتجاه الممكن
للصراع العربي- الإسرائيلي دون إمكانية إيجاد حلّ نهائي له .
وسأين لنا في ضوء هذه الملاحظات وفي ضوء غيرهما من
العقائبات ذات العلاقة أن نطرح الصور التالية:
أولاً : إن إسرائيل في تطورها التاريخي ستجد نفسها في
حالة جديدة مع المسلمين والعرب الذين يحيطون بها ، فهي
لن تستطيع الاستمرار في سياسة الهيمنة
والسيطرة على المحيط الجغرافي في الشرق الأوسط بأحمله ، ولن
تستطيع لعب دور الوكيل الاستعماري للدول التي
ترغب في السيطرة على هذه المنطقة وثرواتها . وهذا
مناجم أولاً من خصلتها في السيطرة على الشعب الفلسطيني

٨

وارتد عن صوته المنادي باسترداد جزء من حقوقه
التاريخية لمن أرضه ، وحملها في قرض صفوحها للأرض
الخاص بها كما حاولت تجيده من خلال احتلالها للكنوب
اللباني لأكثر من عقد من الزمان ، والذي انتهى بهزيمة
النكراء أمام المقاومة الباسلة للشعب اللبناني بقيادة
حزب الله . فتاريخياً يمكن القول أن العقل الصهيوني
لم يعد يمتلك ^{القدرة على} التخطيط والتفكير في المنفعة بحرية
كبيرة ودوره عظيم اعتبار لإرادة شعبها والمقاومة
التي تقوم بها هذه الشعوب للحفاظ على إسرائيل . فالواقع
تماماً من تجربة الاحتلال الإسرائيلي للكنوب اللبناني ، ومنه تجربة
الانتفاضة الأقصى الأخيرة أن صوت الشعوب ومقاومتها
للمشروع الصهيوني عامل حاسم في الصراع لن تستطيع
إسرائيل تجاوزته . وهو عامل حاسم لأنه
يتجاوز خارج إطار مؤسسات الدولة القومية
العربية التي يمكن لإسرائيل إخضاعها من خلال الحرب أو
التهديد بالحرب ، أو من خلال الضغط الخارجي عليها من

٩

قبل حلقاتها الغربية . ^{القيام}
كما أن ^{استمرار} استمالة إسرائيل في أوروبا السابقة ناجمٌ ثانياً
عنه تغير علاقة المسلمين والعرب بالعالم الغربي ، وغزوا
التغير سيؤدي خلال السنوات القادمة ، ومع ازدياد
صياحات اللقاء الثقافي والحوار الفكري واهتمام
الإنساني بين شعوب العالم ، كما هو الاتجاه الواضح
الآن ، إلى ازدياد الحضور الإسلامي في الغرب ، وازدياد
التوجه نحو علاقة متكافئة بين الإسلام والغرب ، لا استمرار
علاقة الهيمنة والاضطاع التي استفادت إسرائيل منها
إلى درجة كبيرة .

فإسرائيل إذاً تفقد قدرتها على السيطرة في منطقة العالم
العربي حيث زُرعت ، وقدرة على استمداد العون من
العالم الغربي الذي زرعها ورعاها . ^{الاستمرار إلى صلا نهاية في}
ثانياً : إن هذه الحالة الجديدة والتي نواجهها إسرائيل
حالياً ، مستهد ظواهر أخرى لها سمبند مقلقة للغاية
في السنوات القليلة القادمة كما ستطرح على طاولة
البحث الإسرائيلي واليهودي والغربي موضوع طبيعة

(١٠)

- الدولة الإسرائيلية دوطيفتها : هل ستبقى هذه الدولة دولة "اليهود" فقط ؟ وهل صيررات جمع اليهود من كل أنحاء العالم فيها ما زالت قائمة ؟ وهل ستبقى هذه الدولة ذات طبيعة عربية - عرقية ، مدججة بالأحقة الفتاكة والمدمرة ؟ ومن سيفرض التفوق العرقي الإسرائيلي على كل دول المنطقة وكيف ؟ وهل من الممكن في ظل سرعة انتقال التقنية الحديثة والمعلومات والعلوم منع العرب والمسلمين من تغيير ميزان التسلح ومن الحصول على أسلحة لاصية لتهديد وجود إسرائيل والقضاء على تفوقها الحربي ؟ لا شك أن أسئلة كثيرة أخرى ستطرح حول هذا الموضوع ، ولكن الأمر الحيوي الذي ينبغي الانتباه له في هذا الإطار أن صيررات وجود دولة خاصة باليهود وحدهم في فلسطين قد تداعى جزء كبير منها ، فلم يعد اليهود شعباً غير مرغوب به في العالم الغربي ، ولم يعد بالتالي من الضروري التخلص منه بنقله إلى فلسطين . كما أن المبرر العرقي - الاستعماري

⑪

لوجود إسرائيل ، أي كدولة وظيفية تخدم المصالح
العربية الاستعمارية ، آخذٌ في الضعف لأن طبيعة
العلاقات الدولية تشهد تغيراً نوعياً من علامات
توحد فكرة الحرب لسوية النزاع والحصول على
قدر أفضل من الثروة والقوة ، إلى فكرة التعاون
والتنافس في المجال الاقتصادي والتقني . إن قبول
فكرة الحرب وحسم النزاعات عسكرياً يتضاءل في
وعى البشر يوماً بعد يوم ، ولعلّ المئات من الملايين
من الناس التي ماتت أو ما زالت تموت بسبب الحروب
هي التي تقود البشرية إلى مرحلة أخرى من العلاقات ،
لا تدفع الحياة الإنسانية ضيقاً شديداً .

بالبلع لم نصل بعد إلى المرحلة التي تتخلل فيها القيادات
السياسية والفكرية في العالم الغربي مع فكرة اللجوء
إلى القوة والحرب للحصول على ما يعتقد أنه حيوي
لها في منطقة العالم الإسلامي ، وربما يرى الصديرون

أن هذه المرحلة بصيرةٌ عن الكدوث حالياً . ولكن
من الواضح لمن ينظر للأمر ضمن رؤية تاريخية بعيدة المدى

(١٢)

● أن كلا العالمين الإسلامي والغربي يرى في الاقتصاد والإنتاج واستخدام الثروات الطبيعية مجالاً أفضل للقاء والتعاون والتعاظم ، بدل الارتكان لخيارات الحرب والنزاع المسلح . إن العلاقات الاقتصادية بين دول العالم الإسلامي والعالم الغربي تبين أن أحدهما لا يستطيع الوصف ووجه الآخر ، وأن التعاون والتبادل هو الطريق الوحيد لاستمرار الحياة في هاذان العالمان . على أن السؤال الذي يبقى مطروحاً أمام المسلم هو في إيجاد السبل الكفيلة لضمان علاقة متكافئة ونزاهة استقلالية بينهم وبين دول الغرب . وهذه العلاقة المتكافئة هي التي مستفاد منها موقعهم السياسية والكارخية ، واستخلف الأرضية الملائمة لحل النزاع مع إسرائيل وإلى الأبد .

خاتمة : إن الحل النهائي والمعقول والذي يمكن تحقيقه

للنزاع العربي - الإسرائيلي يكمن في تغيير ^{طبيعة} الوجود اليهودي

● في فلسطين من وجود عدواني استعماري تلطي وقمعي

إلى وجود يهودي سلمي ، يتحول اليهود بموجبه إلى

(١٢)

مواجهتين عاديتين فمنهن المكان الملمين

والمسيحية الذين يعيشون في المنطقة . وهذا الوجود

له امتداد تاريخي ، وتجربته في الواقع التاريخي معروفة .

إذ أن اليهود عاشوا في كافة بقاع العالم الإسلامي وحتّى

كلّ الدول الإسلامية المختلفة دونه أن ليكّل وجودهم

وحياتهم في فلسطين وغيرها أية مشكلة للمسلمين الذين

يكنون الغالبية العظمى من المكان .

إن الحل الوحيد الذي يمكن أن يجلب سلاماً دائماً في

منطقة الشرق الأوسط ، وبكلمات بسيطة وقلييلة ،

يمكن في حل بنيت الدولة الإسرائيلية ، وتخلّي اليهود

عنه الهوية الصهيونية ، وعنه الفلسفة الصهيونية الإمبريالية ،

وهذا التخلي سيجعل منهم ، كما كانوا تاريخياً ، مجموعة

دينية تعيش وسط ثقافة إسلامية - عربية استوعبتهم

في الماضي وتستطيع استيعابهم في المستقبل .

ولاشك أن تغيير الوعي اليهودي بهذا الاتجاه لن يكون

سهلاً ولله يكون سريعاً ، ولكنّ المنظور الذي يمكنه أن

يمازج العرب والمسلمين على القرب وعلى اليهود أنفسهم

سعود إلى مثل هذا الحل .